عبادَ اللّٰه... تمايزوا

أبو عبد اللّٰه المنصور

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ...﴾ [آل عمران: ١٧٩].

«وقد ميَّز خالد بن الوليد رضي الله عنه المهاجرين من الأنصار من الأعراب، وكلَّ بني أب على رايتهم، يقاتلون تحتها، حتى يعرف الناس من أين يؤتون»[١].

---

(١) البداية والنهاية ٦/ ٣٥٧.

الإهداء

إلى أسد الإسلام قعقاع الفلوجة أبي محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

إلى الشيخ الورع الزاهد بقية السلف أبي قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

إلى الشيخ الدكتور الفقيه التقي أبي الحارث رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وإلى جميع شهداء جيش المجاهدين وشهداء الفصائل جميعاً ـ نحسبهم كذلك ـ الذين باعوا أنفسهم خدمةً لهذا الدين العظيم، فجزاهم الله خير الجزاء وأسكنهم فسيح جناته.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

لا يتناقض حزن القلب ودمع العين مع اتِّباع أمر الله ﷻ والرضا بقدره، فقد قال الله سبحانه وتعالى عن والد الصدِّيق الأكبر لفراق يوسف الصدِّيق عليهما السلام: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يُوسُف: ٨٤]، ولما عاتبه المعاتبون على حزنه الشديد إذ: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ [يُوسُف: ٨٥] أجابهم قائلاً: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يُوسُف: ٨٦].

ونحن نقول: إنَّ القلب ليحزن، وإنَّ العين لتدمع، ولا نقول ولا نفعل إلا ما يرضي الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، حين نعلن مفارقة كل منهج أو جماعة وقع كثير من أفرادها في انحرافات تؤثر، فيما نعتقد، على سير

المشروع الجهادي[١]، وما ذاك الحزن على فراق تلك المناهج، إنما على فراق رجال كانت لنا وإياهم صحبة طويلة على منهج الحقِّ في ميادين الجهاد ومظانِّ الموت في ذروة السنام، فإذا ببعضهم ينحدرون عن تلك الربى والربوع شيئاً فشيئاً، حتى آل بهم الانحدار إلى استطابة الانحناء والاسترخاء في مجالس المفاوضات والصحوات.

وبما أنَّ الأمرَ حسَّاسٌ غايةَ الحساسية، والظروفَ حرجةٌ غايةَ الحرج، كان لا بدَّ لكلِّ من لا يعلم الحقائق التي خفيت عنه أن يعذرنا في عدم الإفصاح عن تفاصيل دواعي المفارقة، والاكتفاء بالإجمال في هذا البيان مع ذكر الدليل الشرعي مختصراً، مع أنَّ عامة الناس، فضلاً عن خاصتهم، عندهم الكثير من حقائق هذه الفصائل الجهادية، وما آل إليه كثير من أفرادها من انحدار رهيب في دركات التفاوض والهدنة مع عبَّاد الصليب.

(١) ونؤكد أنَّ بقاءنا معهم في المدة السابقة كان صوريًّا، لمصالح شرعية معتبرة عندنا كالنصح وغيره، ولم ندخل في أيِّ منكر من منكراتهم كالصحوات أو الهدنة، علماً أنَّ هذه المنكرات لم تثبت عندنا حين التأسيس، وحين ظهرت بوادرها عند البعض لم نسكت عن بيانها في السر والعلن، و«وصفة الصياد» و«من يغسل العار عن العشيرة» شاهد على ذلك، وسيأتي تفصيله.

وليُعلَم أنَّ كثيراً من هؤلاء كانوا إخواناً لنا في الله، ووالله لمفارقةُ الأهل في النسب أخف وطأً علينا من مفارقة هؤلاء الإخوة لو أنهم ثبتوا، كيف والله سبحانه شرع مفارقة الأهل في النسب إذا وجب الجهاد، أو كانوا سبباً في تعطيل المقتدر عن النفير، فقال سبحانه محذِّراً ومنذراً من لا يفارقهم: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾

[التوبة: ٢٤].

فالاجتماع والافتراق كلاهما ليس بغاية، إنما الغاية أن يكون الاجتماع والافتراق لله، وعلى منهج الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فكما يحدث الاجتماع لله، يجب أن يكون الافتراق لله متى حضرت أسبابه.

ولذا لزم كلَّ مجاهد من المجاهدين أن يحدِّد منهجه قاطعاً النظر عن انتمائه، مقدِّماً حكم الله سبحانه على كل حكم، مهما كان مقامه في جماعته، كبيرًا أو صغيرًا، مسؤولاً أو جنديًّا، فالتبعية لكتاب الله ﷻ، وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهل الكتاب والسنة عند التحقيق والتطبيق إلا الوسط ما بين الطرفين: الإفراط والتفريط، وهو في واقعنا العراقي ما بين الركون إلى الذين ظلموا، وبين تكفير المسلمين بغير حق واستباحة دماء الأبرياء.

ونحن إذ نعلن «المفارقة»، فإننا نُشهد الله تعالى وحده، وكفى بالله شهيداً، بأنَّ مفارقتنا ما جاءت، كما نَحسب، إلا لوجهه الكريم، وأنَّ المواصلة أصبحت إثماً محققاً، كما نرى والله أعلم، إذ لم يُسمع لنصحنا في مسائل نعتقد أنها من الثوابت، ولذا كان من حقِّ كلِّ أحد لم يعرف الحقيقة أن يسأل عنا سؤالين محددين، وعندها تنجلي أمام عينيه الحقيقة: هل تظنون أننا نريد الدنيا بمفارقتنا هذه؟ أم أننا ممن يجهل الحكم الشرعي في ذلك؟ وستجدون أنَّ المنصفين بحمد الله يشهدون لإخواننا في جيش المجاهدين أنهم طلبة علم لا أهل جهل، كما أنهم أهل جهاد لا أهل أهواء، نحسبهم كذلك، والله حسيبهم، وأنتم شهداء الله على خلقه.

وسوف يتساءل البعض: لم جاءت هذه «المفارقة» في هذا الوقت بالذات؟

والسؤال نفسه كان سيتكرر لو حدثت «المفارقة» في

أيِّ وقت، ومن عرف دواعي «المفارقة» عرف لماذا في هذا الوقت تحديداً، فقد بانت لنا حقائق خطيرة، كان بعضها يقال، لكنها لم تثبت عندنا بوسائل الإثبات الشرعية، فلما ثبتت عندنا استفرغنا الوسع في النصح فلم ينتهوا، وقد بقينا معهم طوال هذه المدة محاولين الإصلاح ظنًّا منَّا أنَّ نصحنا لهم ونحن معهم في جبهة واحدة أو مجلس واحد أكبر تأثيرًا.

ومن عرف الوضعَ المعقَّد الشائك في العراق، وتمكينَ الصليبيين لزنادقة بدر والدعوة وغيرهم، وكان حسن الظنِّ بإخوانه، فإنه قد يجد لنا عذراً في إطالة بقائنا مع هذه الفصائل تحت مظلة واحدة من أجل النصح، وقد كانت هذه نصيحةَ كثيرٍ من أهل العلم والتجربة، وإنصافاً نقول: إنَّ لكثير من قيادات هذه الفصائل سابقةً في الدعوة والجهاد، فهذه المعطيات وغيرها جعلتنا نتريث في الخروج، ونعطيهم فرصاً كثيرة لعلهم يرجعون إلى سابق عهدهم، وهذا اجتهادنا، فإن أصبنا فمن الله سبحانه، وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله لذلك، ولما غلب على ظننا أنَّ الطريق مسدود، وأنَّ النفوس تغيرت، وأصبح النصح وعدمه سواء، وأنَّ الأيام لا تزيد المقابل إلَّا

إيغالاً في المفاوضات، والتنازلات، والصحوات، بل الغفلات، وما إلى ذلك من سيئات سنأتي على ذكرها إن شاء الله تعالى، قررنا المفارقة.

ومن علم تفاصيل ما نعلم، عرف ما الخيانة التي سوف نرتكبها لو واصلنا البقاء في هذا التحالف، إنها خيانةٌ لله ﷻ، ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وخيانةٌ لإخواننا.

ولا ينبغي أن نستكثر وصف الخيانة على من جالس الصليبيين، وفاوضهم، وهادنهم، وتوجَّه لمشاركات سياسية وإدارية معهم، وخالف منهج الحقِّ، ودخل في صحوات النفاق، وكان سبباً في إضلال كثيرٍ من الناس.

لن يستكثر ذلك من عرف أنَّ رسالةً صغيرة من حاطب بن أبي بلتعة ﵁ لمشركي قريشٍ قبيل فتح مكة، ما قصد بها إلا حماية أهله وعرضه، وهو على يقينٍ تامٍّ بأنَّ الله ﷻ ناصرٌ دينَه، وأنَّ رسالته هذه لن تغني عنهم من الله شيئاً، كما أنه عازمٌ على المشاركة في جيش رسول الله صلى الله عيه وسلم المتوجه إلى مكة، ومع هذا كلِّه فقد نزلت الآيات بتشنيع هذا العمل، واستنكاره، ووصْفِه

بالضلال، فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾(١) [الممتحنة: ١]. فبالله عليكم، أيهما أشنع فعلاً وأعظم عند الله، فعلُ حاطب أم فعل هؤلاء؟

فما جزاء من علم بالخيانة وسكت عنها؟ وما جزاء من قدر على إيقافها عند حدها ولم يفعل؟ ذلك الذي دفعنا إلى المفارقة، لأنَّ قناعتنا أنَّ بقاءنا لحظة واحدة بعد يأسنا من الإصلاح شروعٌ في الخيانة، وإقرار عملي بها، نعوذ بالله من الْحَوْرِ بعد الكَوْرِ، ومن الخداع والخيانة بعد الصدق والأمانة.

وقد يتهمنا البعض بأننا نميل باتخاذنا هذا القرار إلى منهج أهل الغلوّ، ونحن نبرأ إلى الله تعالى من هذا المنهج الذي وقعت فيه بعض الفصائل، فأساءت إلى الإسلام والجهاد أيّما إساءة.

---

(١) انظر البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٦٤٨٥)، وأحمد ١/ ٧٩، وأبو داود (٢٦٥٠)، والترمذي (٣٣٠٥)، والنسائي في الكبرى (١١٥٢١).

و إليكم دواعي «المفارقة»:

الداعي الأول: إنكاراً للمنكر

يقول النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)[١].

كم أنكرنا على إخواننا هؤلاء الذين فارقنا حلفهم، وهم ـ بعد الله تعالى ـ أَوَّلُ من يعلم بهذا، طوال فترة اجتماعنا تحت راية «جبهة الجهاد والإصلاح» ثم «المجلس السياسي للمقاومة العراقية»، وكانوا يعتذرون لنا عن انحرافات بعض قياداتهم بأنَّ هذه تصرفات فردية، وقد عاهدونا على الإصلاح، لكننا لم نرَ لذلك أثراً يُذكر على الواقع.

وقد كنا نُنكر هذه المفاوضات التي ابتدأت منذ زمن بين الصليبيين المحتلين وبين هؤلاء، والتي أفرزت صحوات النفاق، لكنهم كانوا ينكرون حدوثها من أساسها، إلى أن طفت على السطح، فأخذوا يظهرون عدم ممانعتهم

(١) أخرجه مسلم (٤٩)، وأحمد (١١٠٧٣)، وأبو داود (١١٤٠)، وابن ماجه (١٢٧٥).

للمفاوضات مع الصليبيين مباشرة، وذلك على شاشات بعض القنوات الفضائية، مع تغليفها ببعض شروط العزة المتصنعة! وواقعهم العملي أنَّ بعض قياداتهم فاوض الأمريكان من غير هذه الشروط، وهل الصحوات إلا ثمرة فاسدة من ثمار هذه المفاوضات؟

وقد أنكرنا عليهم وأغلظنا، فكان عذرهم: أنَّ هؤلاء المفاوضين أفراد لا يمثلون إلا أنفسهم، أما الجماعة فهي بريئة من هذا. فكان جوابنا: مادام طلاب المفاوضات والصحوات لا يمثلون إلا أنفسهم فيجب عليكم أن تضعوا لهم حدًّا: فإما أن يتوقفوا، وإما أن يُفصلوا؛ لئلا يستندوا على جماعتكم، أو على تحالفنا الكبير كلِّه، فيستفيدوا من هذا الثقل وحسن السمعة وثقة الجموع بنا.

فكان جواب هؤلاء القادة: أعطونا فرصة للإصلاح. وأخذوا فرصتهم، لكننا فوجئنا بأنَّ ما قيل لنا لم يكن إلا مناورةً علينا وعلى من تدخَّل بيننا، ولم تكن عهودهم التي عاهدوا بها إلا عهودًا للتسكيت والتمرير والتغرير، منقوضةً قبل أن تُتخذ، مع سبق الإصرار!

وأنَّ المفاوضات مع الصليبيين لم تكن مجرد اجتهادات فردية، بل هي ما ارتضته بعض تلك القيادات.

وعندنا الأدلة اليقينية التي لا تقبل الشك أبداً!

علماً بأنها لم تعد تحتاج إلى أدلة عند كلِّ عراقي، عامِّيٍّ وغير عامِّيٍّ، وأبى الله إلا أن ينشرَ ما أخفَوه على كل لسان، ويفضحَ ما ستروه من مفاوضات باسم الإسلام على العيان، فأصبحوا حديثَ كلِّ فرد، ومسبَّةَ كلِّ غيور.

فبماذا يمكنهم أن يجيبوا العامة قبل أن يجيبونا على سؤالهم: إن كنتم غير راضين فلِمَ لم تعلنوا ذلك على الملأ؟ ولماذا لم تتبرؤوا من بعض قياداتكم التي تسرح وتمرح في المنطقة الخضراء، وقد علم حالهم وأسماءهم القاصي والداني؟

لعلكم ستدَّعون أنكم تخشون شقَّ صفكم!

وهل وحدة الصف مطلوبة شرعًا، ولو على باطل مثل هذا؟

أم أنكم خفتم شقَّ الصفِّ بخروج أفرادٍ أغواهم الصليبيون، ولم تخشوا شقَّ الصف الأكبر ببراءتنا وبراءة كلِّ من لا يرى هذا المنكر العظيم، وذهاب التحالف الأكبر أدراج الرياح؟

إياكم أن تُدافعوا عن هؤلاء وتقولوا: إنهم لم يأخذوا الوقت الكافي.

فالوقت الكافي لأيِّ شيء؟ ألمزيدٍ من استغواءِ آخرين كما حدث؟ أم لمزيد إيغال في الهدنة والصحوات؟ أم لمزيد تسويق لهذا المشروع بين الأفراد والقيادات والجماعات؟

ثم هل الأمر حقيقةً يحتاج إلى وقت؟

ولو احتاج إلى وقت فإلى كم: يوم؟ شهر؟ سنة؟

سلوا أنفسكم منذ متى سار قطار المفاوضات؟ وحتى اللحظة لم يتوقف، بل هو في كلِّ محطة يزيد من ركابه، إلى أن اكتشفنا أنَّ في غرفة القيادة الرئيسية بعضَ قياداتكم!

فبالله عليكم أيجوز لنا، والحال ما ذكرنا، أن نبقى ننتظر؟

أيجوز أن نبقى نبرِّر للمنكرين علينا البقاء في هذا الصف؟ أو نكذِّب العراقيين الذين أجمعوا على ركون بعضكم إلى الصليبيين؟ أليس بقاؤنا تزكيةً لهم ولأعمالهم؟ أوَ ليس البقاء، والحال هذه، نوعٌ من التغرير؟

وإذا لم يفد النهي عن المنكر بالقول، فهل يُقبل شرعاً المشاركة في هذا التحالف مع وجدان الإنكار القلبي المجرد الذي فيه المجازفة بآخر ذرَّة من إيمان، لقوله صلى

الله عليه وآله وسلم: (وليس بعد ذلك حبَّةُ خَرْدلٍ من إيمان)؟

إنَّ مثَلنا عند البقاء ـ لو أننا بقينا في هذا التحالف ـ مثَلُ العالِم الذي أراد الحاكم الظالم من خلاله أن يُقنع الناس بإباحة شرب الخمر وأكل لحم الخنزير، فدعا العامَّةَ لوليمة، وأعلن لهم أنَّ ما عليها إنما هو خمرٌ وخنزير، وأجلس العالم في نحر المائدة، وأسرَّ له بأنَّ ما أمامه إنما هو لحم ضأن وعصير تفاح ـ وهو كذلك ـ وقال للعالِم: كُل. وانتظر الناسُ حتى يأكل العالم؟ فهل يحلُّ له أن يأكل لحم الضأن ويشرب عصير التفاح، والحال هذه؟ أم أنَّ عليه أن يبين الحقيقة، ويعلن للناس: إنَّ ما أمامي الحلالُ وما أمامكم الحرام؟

فكيف يُقبل البقاءُ في هذا التحالف، والأمر كما ذكرنا؟

من يتحمل أوزار الجموع جميعاً؟

من يتحمل أوزار البلاد؟

من يتحمل آثام التستر على المفاوضات الصليبية وبنتها صحوات النفاق؟

من يتحمل التمكين للصليبيين وهي الثمرة الأولى من ثمرات هذه المفاوضات؟

من يتحمل إثم كسر شوكة المجاهدين؟

من يتحمل أوزار هزيمة المسلمين في بلادنا؟

لربما تصور من لا يعلم، أننا ممن يهوِّل الأمر، ولكن من علم أيَّ مدًى بلغ هؤلاء، وإلى أيِّ الأنفاق جمحوا لعذرونا، فإنه قد ثبت لدينا أنَّ بعض جماعات المجلس السياسي قد انقسم إلى ثلاثة أقسام:

أما القسم الأول: فهم رجال مجاهدون ليس لهم صلة بالمحتلِّ، وهم على العهد، ولم يبدِّلوا تبديلاً، ثبتهم الله، وزادهم من حفظه. ولا يعذر هؤلاء بالبقاء مع أمثال هذه الجماعات إلا بدوام الإنكار عليهم، حتى ييأسوا من عودتهم إلى الحقِّ أو يغلبَ على ظنهم ذلك، وعندها تجب عليهم «المفارقة»، ولا يحلُّ البقاء لحظةً بعدها، لحديث قيس بن حازم، أنَّ أبا بكر الصديق قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أيها الناس، إنكم تقرؤن هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وإنا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إنَّ الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيروه، أوشك الله أن يعمهم بعقابه) وفي رواية: (الناس إذا

رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، يوشك أن يعمهم الله بعقاب)[١]. وعن جرير، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (ما من رجل يكون في قوم، يَعمل فيهم بالمعاصي، يقدرون على أن يغيِّروا عليه، فلا يغيِّروا، إلا أصابهم الله بعذاب، من قبل أن يموتوا)[٢].

وأما القسم الثاني: فهم مجاهدون، وبتعبيرٍ أدقَّ كانوا مجاهدين، لكنهم وقعوا في فخِّ المفاوضات والهدنة، وانضمُّوا إلى مجالس الصحوات، لكننا لا نعلم يقيناً عن هذا القسم أنهم ارتكبوا ناقضاً واضحاً من نواقض الإيمان، كأن يكون قتالهم لأهل الغلوِّ مستعينين بالصليبيين، أو أنهم أصبحوا أدلَّاءَ على عورات المسلمين أو سلاحهم ونحو ذلك، ولذا فإنَّ الحكم في هؤلاء الذين انحرفوا بالتأويل الفاسد المعروف أنهم فسقةٌ مرتكبون لكبيرة، نسأل الله تعالى أن يردَّهم إلى الحقِّ قبل أن يموتوا، ونتمنى عليهم

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٢، وأبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٢١٦٨)، والنسائي في الكبرى (١١٠٩٢)، وابن ماجه (٤٠٠٥)، وصححه الألباني وشعيب.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٣٩)، وابن ماجه (٤٠٠٩)، وابن حبان (٣٠٢)، وحسنه الألباني وشعيب.

قراءة «الجواب الكافي لمن نوى الهدنة مع العدوِّ ظاهراً أو خافي» أو «وصفة الصياد»، فإنه قد أجاب عن شُبَهِ المنحرفين بالأدلة الشرعية.

والحكم بالفسق على هؤلاء إذا اقتصر عملهم على الهدنة فقط[1]، وإلا فمن الناحية العملية يصعب ألَّا يقع هؤلاء في الكفر، فإنَّ الكفر ـ كما هو معلوم عند أهل العلم ـ يقع بكلمة، بل أحياناً بسكوت أو إشارة، فهل يستطيع هؤلاء الذين انضمُّوا إلى مجالس الصحوات أن يحفظوا أنفسهم من كلِّ ذلك؟ فلذلك ينبغي لهؤلاء ألَّا يستمرئوا هذا المنكر العظيم، ولا يستمرُّوا فيه، وليعلموا ـ والله أعلم ـ أنهم لن يتوقفوا عند الدرْك الذي بلغوه، ولسوف يزدادون هويًّا، وكلَّما بلغوا دركاً استمرؤوه، ونخشى عليهم أن تكون الخاتمة في الدرك الأسفل، نعوذ بالله من ذلك.

ولو نظر أحدهم أين كان قبل ستة أشهر مثلاً؟ وأين هو الآن؟ وأين كان قبلها بستة أشهر سابقة؟ وأين كان قبل

---

(١) لأنَّ الهدنة في جهاد الدفع غير مشروعة كما قرر الفقهاء إلا إذا خشي المسلمون الاستئصال التامَّ (الاصطلام)، وترك جهاد الدفع مع القدرة فسق. راجع تفاصيل هذه المسألة في كتاب «الجواب الكافي لمن نوى الهدنة مع العدو ظاهراً أو خافي».

سنتين؟ لأدرك أنَّ المسألة خطيرة، وأنَّ الخاتمة تجري نحو السوء المحقَّق الذي ليس له من دون الله كاشفة. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النِّسَاء: ١٤٥].

أما القسم الثالث: فهم أفرادٌ قليلون، فيما نعلم[١]، قد وقعوا في الردَّة ـ نعوذ بالله تعالى ـ إذ أجازوا لأنفسهم أن يقاتلوا أهل الغلوِّ مستعينين بالصليبيين، أو يكونوا أدلَّاء للمحتلين على عوراتهم، وهذا عندنا ردَّةٌ وكفر أكبر[٢]، وإن كنا نرى أنَّ أهل الغلو قد أساؤوا كثيراً كثيراً، وقتلوا الكثير بغير حقٍّ، وشوَّهوا صورة الإسلام والجهاد، وانتهجوا سياسة بدعية في مسائل كثيرة، كالتعامل مع المخالف،

(١) وقيل إنهم كثر، والله أعلم.

(٢) يقول الطبري ٦/ ٣١٣، عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ. . .﴾ [آل عِمرَان: ٢٨] ومعنى ذلك: لا تتخذوا، أيها المؤمنون، الكفار ظهراً وأنصاراً، توالونهم على دينهم وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلونهم على عوراتهم، فإنه من يفعل ذلك (فليس من الله في شيء)، يعني بذلك: فقد برئ من الله وبرئ الله منه بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر.اهـ. ويقول الخرشي المالكي في شرحه على مختصر خليل: والمشهور أنَّ المسلم إذا تبين أنه عين للعدو، فإنه يكون حكمه حكم الزنديق، أي فيُقتل إن ظهر عليه، ولا تُقبل توبته، وهو قول ابن قاسم وسحنون. اهـ.

وفتح جبهات كثيرة لا طاقة للمجاهدين بها، وتأمير الجهلة الأحداث، وعدم احترام أهل العلم، وكانوا هم السببَ الأكبرَ في فقدان المجاهدين حاضنتَهم الاجتماعية بسبب الأفعال السيئة لكثيرٍ من أفرادهم(١)، ولكنَّ منكراتهم العظيمة هذه لا تبرِّر أبداً أبداً الارتماء في أحضان المحتلين عبَّادِ الصليب.

وهذا القسم الثالث (أعني من بعض جماعات

---

(١) هذا هو الحكم العام في أهل الغلوِّ، وهو حال كثير منهم فيما نعلم، ولا يُنكَرُ أبداً أنَّ فيهم أفاضلَ أبطالاً قد بذلوا مهجهم لنصرة هذا الدين، وقد أحدثوا نكاية عظيمة في الكفرة المحتلين. ومما ينبغي ذكره أيضاً أنَّ كثيراً من خيارهم قد قُتل، أما من بقي الآن فكثير منهم يغلب عليه الجهل، وسوء الظن، والحكم على الناس بلا تثبت، وترويج الشائعات، والغلو في التكفير، والاستهانة بالدماء، والحزبية المقيتة. ولا يشك في هذه الحقائق الثابتة بالتواتر إلا متلبس بما ذكرنا أو من لا يعرف الواقع. ويخطئ خطأً فاحشاً عظيماً من يظن أنهم على منهج الشيخ أبي محمد المقدسي أو الشيخ أبي بصير الطرطوسي أو الشيخ أبي قتادة الفلسطيني. والذي يقرأ (وقفات مع ثمرات الجهاد) لأبي محمد، و(الجهاد والسياسة الشرعية) لأبي بصير، و(جؤنة المطيبين) لأبي قتادة، ويعرف واقع القوم يدرك صحة ما نقول. ووالله لو كانت أخطاؤهم قليلة أو في مسائل اجتهادية لما تحدثنا عنها، ولكنها أخطاء أساءت للمشروع الجهادي وللمنهج السلفي أيما إساءة.

المجلس السياسي)، وإن أنكرتْ قيادتُهم وجودَهم فيهم، فإنا نعرف أعيانهم، كما نعرف حوادثهم في ذلك.

ونحن، والله الذي لا إله سواه، لنتمنى ألَّا يكون الصنفان الأخيران موجودَين مع إخواننا، ولا نريد أن ندخل في لجاجة وجود القسم الثالث أو عدمه، إلا أنهم لا ينكرون وجود القسم الثاني الذي أصبح هو التيارَ القادمَ، بل التيارُ العارمُ فيها، وعليه فقد أصبح لزاماً على هذه الجماعات أن تُطهِّر صفوفها، ويجب على الأفراد المخلصين في هذه الجماعات أن يقوموا بدورهم داخل جماعاتهم، وإلا فالنجاةَ النجاةَ إن أصرَّ القادة على طريق الهلاك. ومن ذا الذي يرضى أن يبقى لحظةً في صفٍّ يصرُّ قادته على الضلال؟

وهنا ينبغي أن نكرِّر ونؤكِّد أنَّ نظرتنا إلى أفراد هذه الجماعات تختلف عن نظرة أهل الغلوِّ، فهم يرونهم صنفاً واحداً، ونحن نراهم ثلاثة أصناف كما بيَّنَّا، ولا يقال: إنَّ الصنف الأول له حكم الصنف الثاني أو الثالث لأنه ساكت، فالصنف الأول ينفي وجود الصنف الثالث، ويتأول للصنف الثاني، وهنا موطن الخلاف بيننا، فنحن نرى أنَّ تأويلهم فاسد لا يقبل شرعاً.

وليعلم القارئ الكريم أنَّ هذه الانحرافات الموجودة عند البعض لم تكن موجودة عندهم في السابق، ولكنَّ المكر الأمريكي استطاع أن يستدرج الجهَلةَ وضعافَ النفوس بحجة قسوة الصفويين، وكان للسياسية السيئة التي انتهجها أهل الغلوِّ أثرٌ كبيرٌ في دفع هؤلاء إلى الحضن الأمريكي الدافئ!

ونؤكد كذلك أنه مع خلافنا الشديد وفراقنا لفصائل الجبهة والمجلس، إلا أنه ليس كل ما يقال عنهم من سوء صحيح، فنحن أهل العراق ـ وللأسف الشديد ـ معروفون ومنذ القرون الأولى أنه إذا دخل الخبر عندنا شبراً خرج ذراعاً، هذا في القرون الأولى، أما الآن فيخرج مئة ذراع. فعلى المسلم الذي يخشى الله أن لا يتلقى الأخبار بلسانه، ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [النور: ١٥]، وأن يتثبت ويتبين ويستشير أهل العلم فيما يصله من أخبار، ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ [النساء: ٨٣]، وأن لا يكون التثبت في الأخبار السيئة مع أفراد جماعته فقط، كما هو حال كثير من المسلمين للأسف، لا

يتثبتون إلا مع من يحبون، أما إذا بلغهم خبر سيئ عن جماعة أخرى فإنهم يتلقونه بألسنتهم، وينشرونه دون تثبت أو تبيُّن، وهذا ليس من خلق المسلم، و(كفى بالمرء إثماً أن يُحَدِّث بكل ما سمع) و(كفى بالمرء كذباً أن يُحَدِّث بكل ما سمع)[1]، كما صح عن نبينا محمد ﷺ.

وعلى المسلم الصادق كذلك أن لا يُطلق الأحكام جزافاً، فإذا صح عنده خبر سيئ عن قاطع ما تابع لجماعة جهادية معينة، فلا يجوز أن ينظر إلى هذه الجماعة من خلال هذا القاطع فقط، فقد يعتري الأمر ملابسات نجهلها . . .

فينبغي لمن يحرص على دينه أن لا يتكلم في المسلمين باللوازم والأخبار المنقطعة والتحليلات الغريبة المبنية على سوء الظن، والحذر الحذر من الوقوع في أعراض المجاهدين، أو ترويج إشاعات المجاهيل، وتأمل قول المصطفى ﷺ: (من قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله رَدغة الخبال حتى يخرج مما قال)[2]، وقال ﷺ: إنَّ

---

(١) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه (٥)، وأبو داود (٤٩٩٢)، وابن حبان (٣٠)، والحاكم ١/ ١١٢.

(٢) أخرجه أحمد (٥٣٨٥)، وأبو داود (٣٥٩٧)، والطبراني (١٣٤٣٥)،

من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق)[١]، فكيف إذا كان الكلام في جماعة جهادية كاملة؟ واحفظ لسانك إلا من يقين ترجحت مصلحته، فذلك أسلم لدينك وقلبك وآخرتك، ورُبَّ كلمة في الفتنة سفكت دماءً، وأخَّرت نصر الإسلام والمسلمين، ولعلها تدخل في قوله ﷺ: (إنَّ العبد يتكلم بالكلمة، يزلُّ بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب)، وفي رواية: (إنَّ الرجل ليتكلم بالكلمة، لا يرى بها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في النار)، وفي رواية: (إنَّ العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتبين ما فيها، يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب)، وفي رواية: (إنَّ العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتثبت فيها يزلُّ بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب)[٢].

= والحاكم (٢٢٢٢)، والبيهقي (١١٢٢٣)، وصححه الألباني وشعيب. قوله ﷺ: (ردغة الخبال) أي: عصارة أهل النار. وقوله ﷺ: (حتى يخرج مما قال)، قال في عون المعبود: قال القاضي: وخروجه مما قال أن يتوب عنه ويستحلَّ من المقول فيه.

(١) أخرجه أحمد (١٦٥١)، وأبو داود (٤٨٧٦). قال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح غير نوفل بن مساحق وهو ثقة.اهـ. وصححه الألباني وشعيب.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٧٥٩٠)، وأحمد (٧٢١٤)،

الداعي الثاني: تعذُّر تحقيق غاية التعاون

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

يعلم الجميع أننا ما تنادينا بادئ ذي بدءٍ لهذا التحالف إلا تعاوناً على البرِّ والتقوى، وقد اجتهدنا في هذا التقارب نصحاً وتذكيراً، وقطعاً للطريق على من كان يحرص أن يكون بطانةً لهم، من الحزب الإسلامي، وجبهة التوافق، ومنافقين غيرهم من هنا وهناك، ولكننا لم نستطع أن نحقِّق ما كنَّا نريده، وأصبح مجرد البقاء في هذا الحلف إعانةً معنويةً على الإثم والعدوان، وصار عامَّةُ الناس يسندون أفعالهم إلى الحلف الموحَّد بما فيه من جماعات، وأصبح كثيرٌ من الناس واحداً من اثنين: إما منكرٌ علينا البقاء مع هذه الحال، وإما مسيءٌ للظنِّ فينا بأننا موافقون، وقسم ثالث متبعٌ لهؤلاء الآثمين، أو معتقدٌ صوابَ أمرهم، ونخشى أن يكون من حججهم بقاؤنا معهم، لذا لزمت «المفارقة» شرعاً ونصحاً، وسدًّا للذريعة، وذبًّا عن حرمة هذا الدِّين، وعن الجهاد وسمعة رجاله.

= والترمذي (٢٣٢٤)، والنسائي في الكبرى (١١٧٧٣)، وابن حبان (٥٧٠٦).

أما كون «المفارقة» تعاوناً على البرِّ والتقوى فذلك لأنَّ البرَّ والتقوى في جهادِ هؤلاء الغاصبين، ودفعِ تغلغلهم في داخلنا، وإعانةِ كلِّ من يريد دفعَهم وجهادَهم، هو من باب التعاون على البرِّ والتقوى، وهذه الإعانة لا تتعلق بأفراد جيش المجاهدين فحسب، إنما تتعلق بكلِّ مسلمٍ من أبناء هذا البلد أيًّا كانت جماعته أو بلدته.

وبقاءُ جماعةٍ أو فردٍ على منهجية الهدنة مع المحتل ومنهجية الصحوات، ولو في بعض المناطق إنما هو إصرارٌ على التعاون على الإثم والعدوان، وانتكاسٌ في تطبيق المنهجية المأمور بها في هذه الآية العظيمة.

كما أنَّ إنكارَنا وإنكارَ كلِّ فردٍ في تلك المجاميع على قادتها بالحسنى مطلبٌ شرعيٌّ، لا تُعفي منه طاعةٌ ولا بيعةٌ ولا عهدٌ، إذ طاعةُ كلِّ أحدٍ مقيدةٌ بطاعة الله ﷻ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وأية طاعةٍ لأميرٍ بعد قول الصدِّيق أبي بكر ﵁: (أطيعوني ما أطعتُ الله فيكم، فإن عصيتُ الله فلا طاعةَ لي عليكم)[1]؟

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٢٠٧٠٢)، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية ٥/ ٢٦٩ بإسناد آخر، وقال: وهذا إسناد صحيح.

فإن أنكر الرجل منَّا ولم يُؤخذ بإنكاره، وتكرَّر إنكاره حتى غلب على ظنِّه أنه لا يُسمَعُ له، لم يحلَّ له البقاء مع جماعة تدَّعي أنها جهاديةٌ وكثير من أفرادها دخلوا في صحوات النفاق، لأنَّ بقاءه مشاركةٌ في المنكر، وتكثيرٌ لسواد أهله، وإعانةٌ على استمرارهم في منكرهم، وإهلاكٌ لنفسه إن سكت بصحبة الساكتين والهالكين، فلم يبق له مجالٌ إلا النجاةُ بنفسه مع من نجا.

فهذه «المفارقة» نوعٌ من الزجر بالهجر بعد أن لم تُجدِ أساليب اللين، ونوعٌ من النصح العلني بعد أن لم تُجدِ كلُّ الأساليب الخاصَّة والخفيَّة، ونوعٌ من النصح العمليِّ بعد أن لم تنفع الأساليب القولية مشافهةً وكتابةً، ونوعٌ من النصح بالإشهاد العامِّ بعد أن لم يُجدِ الإشهاد الخاصُّ، ونوعٌ من النصح من الخارج بعد أن لم يُجدِ النصح من الداخل، فإن لم ينفع هذا الأسلوب، وهذا ما لا نرجوه، فنرجو أن نكون قد أعذرنا إلى الله.

وأما إن نفع هذا الفراق، وعاد الإخوة أفراداً وجماعاتٍ، وهذا ما نرجوه وندعو الله به، فهم الأخوة، وهل يتبرأ الأخ من أخيه إذا ندم على خطئه ونهض من عثرته؟

الداعي الثالث: إنقاذ نور الجهاد من الانطفاء

يجب على كلِّ مجاهدٍ أن يدرك خطورة الهدنة على الجهاد في مثل ظروفنا، إنها أشدُّ من ريحٍ على ضوء شمعة، فالمفارقة لا تحتمل التأخير بعد كلِّ هذا، والأمر لا يحتمل المجاملة مهما كان المقابل حبيباً وقريباً.

فلقد جعل الله تعالى تركَ الجهاد، والركونَ إلى أيِّ شيء آخر يقابله، جعله تفضيلاً في المحبة القلبية وليس عملاً مجرداً.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

ولم يجعل الله تعالى مقابل ترك النفير إلا التثاقل إلى الأرض، والخلود إلى متاع الدنيا، وليس وراء هذا إلا العذاب.

هكذا يجب أن نتلقى الآيات الصريحة الواضحة، وهكذا تلقاها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

يقول جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٨-٣٩].

وعلى كلٍّ من يتخلف من غير عذر أن يخاف الحبس في قعر جهنم.

يقول جلَّ شأنه: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّاۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾

[التوبة: ٨١-٨٣].

هذا من حبسته نفسه أو جبنه وتثاقل عن الجهاد، فكيف بمن حبسته المفاوضات؟ وكيف بمن حبس غيره عن الجهاد؟

إنَّ الخطورة الظاهرة هي أنه تغيُّرٌ منهجيٌّ يأخذ خطواته المتتابعة نحو دركه المتسافل.

وعلى نفس المنهج جاءت السنة النبوية تضع الجهادَ في جهة، وحبَّ الدنيا في جهة، وتجعل ترك الجهاد ركوناً إلى الدنيا لا محالة.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلًّا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم)[1].

قال الإمام أبو زكريا الدمياطي: ومعنى الحديث: أنَّ الناس إذا تركوا الجهاد وأقبلوا على الزرع ونحوه، تسلَّط عليهم العدوُّ، لعدم تأهبهم له واستعدادهم لنزوله، ورضاهم بما هم فيه من الأسباب، فأولاهم ذلًّا وهواناً لا يتخلصون

(١) أخرجه أحمد (٤٨٢٥) و(٥٠٠٧)، وأبو داود (٣٤٦٢)، وأبو يعلى (٥٦٥٩)، والطبراني في الكبير (١٣٥٨٣)، والبيهقي في الشعب (٤٢٢٤)، وصححه ابن القطان في بيان الوهم والإيهام ٢/ ١٥١/ ٢، وحسَّن شيخ الإسلام ابن تيمية إسنادين من أسانيده في مجموع الفتاوى ٤/ ١٩ و٦/ ٤٤، وحسَّنه ابن القيم في الجواب الكافي ص٣٠، والمناوي في التيسير ١/ ٢٢٥، وقال الحافظ في بلوغ المرام عن إسناد أبي داود: في إسناده مقال. وقال عن إسناد أحمد: ورجاله ثقات. والحديث صححه الألباني بمجموع طرقه كما في الصحيحة ١/ ١٥.

منه حتى يرجعوا إلى ما هو واجب عليهم، من جهاد الكفار والإغلاظ عليهم، وإقامة الدين ونصرة الإسلام وأهله، وإعلاء كلمة الله وإذلال الكفر وأهله .

ودلَّ قوله ﷺ: (حتى ترجعوا إلى دينكم)، على أنَّ تركَ الجهاد والإعراضَ عنه والركونَ إلى الدنيا خروجٌ عن الدين ومفارقةٌ له، وكفى به ذنباً وإثماً مبيناً.اهـ[١].

أقول: فليتق الله من فكَّر بالأخذ بالمفاوضات بديلاً عن الجهاد، فليتق الله وليرجع إلى دينه، وليتق الله ولا يكن داعيةً لإخراج الناس عن دينهم.

وليتق اللهَ القادةُ ولا يكونوا شركاءَ في مشروع «إخراج الناس من دينهم»، فكم سيتمنى أناسٌ أنهم لم يتقدموا قومهم في الدنيا، ولم يُعرفوا، ولم يُؤبه لهم، ولم تفتح لهم الأبواب، ولم يُشر لهم بالبنان؟

حريٌّ بمن لم يتحمَّل أوزار تركه الجهادَ ألَّا يتحمَّل أوزار الآخرين.

فعن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ما تركَ قومٌ الجهادَ في سبيل الله إلا

---

(١) مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق لابن النحاس ١/١٠٦.

ضربَهُم الله بالذُّلِّ)(١). وفي لفظٍ: (ما تركَ قومٌ الجهادَ إلَّا عمَّهم الله بالعذاب)(٢). وكلمة «قوم» تصدق على كلٍّ جماعة صغرت أم كبرت، وليس من شكٍّ في أنَّ الهدنة في جهاد الدفع مع القدرة تركٌ للجهاد.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: من ترك الجهاد عذَّبه الله عذاباً أليماً بالذلِّ وغيره، ونزع الأمرَ منه فأعطاهُ لغيره، فإنَّ هذا الدين لمن ذبَّ عنه(٣).اهـ.

أقول: بل لو كان مقابل الجهاد التفرُّغ للصلاة والصيام والذكر ونحو ذلك، لما كان ذلك مشروعاً، فكيف وجهادنا جهاد دفع؟ فعن أبي هريرة ﵁، قال: مرَّ رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ بشِعبٍ فيه عُيينةٌ من ماء عذبةٌ، فقال: لو اعتزلتُ الناسَ فأقمتُ في هذا الشعب؟ ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله ﷺ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة، وقال ابن كثير: إسناده صحيح. البداية والنهاية ٥/ ٢٤٨ و٦/ ٣٠١.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٨٣٩)، وحسنه المنذري في الترغيب ٢/ ٢٠٠، وابن النحاس في مشارع الأشواق ١/ ١٠٧، والألباني في الصحيحة ٦/ ٣٥٢.

(٣) جامع المسائل ٥ / ٣٠٠.

ﷺ: (لا تفعل، فإنَّ مُقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاماً، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة؟ اغزوا في سبيل الله، من قاتل في سبيل الله فُواقَ ناقةٍ وجبتْ له الجنة)(١).

قال الدمياطي: وفي هذا الحديث أدلُّ دليل على ما تقدم من أنَّ الجهاد والتصدي له أفضل من العزلة للعبادة، والله أعلم.

يا هذا، ليت شعري من يقوم مقام هذا الصحابي في عزلته وعبادته وطيب مطعمه، ومع هذا فقد قال له النبي ﷺ: لا تفعل. وأرشَده إلى الجهاد، فكيف لواحد منا أن يتركه مع أعمال لا يُوثق بها مع قلَّتها، وخطايا لا يُنجى معها لكثرتها، وجوارحَ لا تزال مطلقةً فيما مُنعت منه، ونفوسٍ جامحة إلا عما نهيت عنه، ومآكلَ حُكمُ حِلِّها عند رازقها، وخواطر عِلْمُ أصلها عند خالقها، ونيات لا يتحقق إخلاصها، وتبعات لا يرجى بغير العناية خلاصها؟ ثم النظر في خواتم الأعمال، مجال الخطر وعظائم الأوجال،

(١) أخرجه أحمد (٩٧٦٢)، والترمذي (١٦٥٠)، وقال: هذا حديث حسن. والحاكم ٢ /٦٨، والبيهقي ٩/ ١٠، وحسنه الألباني وشعيب.

فالسعيد من وفقه الله للجهاد ويسره له، والشقيُّ من جبن فغبن وظهر الخسران عليه، اللهمَّ يسر علينا الجهاد ويسِّرنا له، واجعلنا بفضلك ممن رام أمراً فناله، وقرنت بالتوفيق أحواله وأفعاله، إنك قريب مجيب[(١)].اهـ.

أيها المجاهدون: والله لو تركنا الأمر على ما هو عليه، وأبقينا أنفسنا داخل هذا التحالف غير منكرين ولا مفارقين، لخشينا على الجهاد أن ينطفئ نوره، وعلى الإسلام في بلادنا أن تنكسر شوكته.

وإنا لن نفارق هذا الحلف ونحن بإخواننا شامتون، بل عليهم مشفقون من ذلٍّ موعودٍ وعذابٍ ممدود، متمنين عودتهم بعد توبتهم، وأرواحنا لهم فداء، ونحن وإياهم لمنهج الحق تَبَعٌ.

الداعي الرابع: تصفية الصفوف

كم نحتاج لتزكية النفوس وتنقية الصفوف بعد نزول سورة التوبة في صفوف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هذا وفيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قال الله ﷻ: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا

(١) مشارع الأشواق ١/ ١٥٣.

وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾

[التوبة: ٤٧-٤٨].

إذًا فيا أيها المجاهدون: لا تحزنوا أبداً على تخلُّف الخوالف، فمن رغب عن الجهاد فذلك لرغبة الله عنه، ومن استغنى عن الله فالله غنيٌّ عنه، وقد أغنى عنه، حتى لو انسحب من صفِّ المجاهدين الثلث، والثلث كثير، حتى ولو انسحب ذاك الثلث قبل المواجهة بلحظات كما انسحب ثلث النفاق من أُحد، فذلك لأنَّ الله ﷻ أراد أن يخفِّف عن المجاهدين جميع الأثقال، بل لو تساقط الأكثرية وبقيت القلة القليلة فما ذلك إلا لأنَّ الله سبحانه أراد أن يصفِّيَ صفَّه، وينزل نصره، ونصره لا ينزل على صفٍّ مشوبٍ بهذه الطريقة، ولأنَّه سبحانه أراد ألَّا يشاركه أحدٌ في نسبة النصر لنفسه.

أيها المجاهدون: إيجاد الخلل مطلبهم ومطمعهم في صفِّ أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ذلك الصفُّ المرصوص، بل إنَّ الله جلَّ جلاله يقرِّر أنَّهم لو خرجوا لنجحوا في إحداث هذا الخلل والدخول منه، فيقول

سبحانه: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٧]. لكنَّ الله عصم ذلك الصفَّ وطهَّره من حيث لم يحتسبوا، بل من حيث كانوا يكرهون إذ كانوا يكرهون نقصان عددهم، وما ذاك إلا فضلٌ من الله عليهم لطهارة قلوبهم وبواطنهم، التي أثمرت جنسها بطهارة صفِّهم وخروج المفسدين من بينهم.

فمن يطهِّر صفَّكم أيُّها المجاهدون إن لم يطهِّرها الله؟ فخذوا بأسباب الطهارة وطهِّروا بواطنكم، وبطائنكم، وأبشروا بالسكينة تنزل على بواطن عامرة، والنصر على صفوف طاهرة. قال تعالى: ﴿۞لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾ [الفتح: ١٨-١٩].

فهذا يجعلنا أشدَّ رقابةً على أنفسنا من رقابتنا على صفوفنا، ويجعلنا أشدَّ رقابةً على صفوفنا في هذا الوقت بعد هذه التأويلات والعروض والتنازلات من أيِّ وقتٍ مضى، بينما الشيطان يريد منَّا أن نهمل هذه الحراسة،

حراسة النفوس وحراسة الصفوف، ليتفرَّغ هو وصحبه لإحداث الخلل وتوسيعه قبل تمزيق الصف وتقطيعه.

فلتتذكر الفصائل الجهادية أياماً كانت تعتقد أنه ليس فيها منافقون، حتى إذا اكتشفوهم ظنوا عندها أنَّهم تخلَّصوا منهم، ومع هذا تكرَّر الأمر وتكرَّر، وإلى هذه اللحظة يوجد آخرون وآخرون، وبعد هؤلاء يوجد الـ (سَمَّاعون لهم) ولذا لزم التطهير الذاتِيُّ والمستمرُّ الذي يجعل الصفَّ الجهاديَّ ينفي خبثه، وكلَّما قوي إيمان المجموعة الجهادية كان نفيها لخبثها أسرع وأعظم.

وما حصل من خللٍ في هذه الفصائل التي فارقناها إنَّما هو بسبب هؤلاء المنافقين الذين تخلَّلوا صفوفَهم، ولم تكن قيادتهم حاسمةً معهم من أوَّل الأمر فسرى الخلل وانتشر، وصعب العلاج.

وأيُّ بقاءٍ لهؤلاء المنافقين في هذا التحالف يعني مجازفةً بمصير الجهاد، وبعد تمسُّك قيادتهم بهم كان لزاماً علينا أن ننجوَ بالجهاد.

فهل يتهاون أحد بهؤلاء المتخلِّلين بعد قول الله ﷻ لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وعداً حقًّا: ﴿لَوْ خَرَجُوا

فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾؟ [التوبة: ٤٧].

والمصيبة المدمِّرة حين يأتي عامَّةَ المجاهدين رجلٌ انغمست من قبلُ بدماء العدوِّ يدُه، واليوم انغمس بالمفاوضات والهدنة لسانه وقلمه، بل وقلبه. فكيف يكون تأثيره على المجاميع بعدما افتتن بالعدو وسلب لبَّه؟

كيف يزيِّن للمجاهدين وعودَ العدوِّ العسليةَ والسلمية السُّمِّية؟

يأتيك ويداه مليئتان بالوعود، مفوضاً باتخاذ قرار، قادراً على تنفيذه، بل يعطيه العدوُّ دليل المصداقية الذي يقدِّمه لإخوانه، وهو يعرف ما يغريهم جيداً.

يأتيك وفي جعبته ثقل أمريكا الداهية التي رأى فيها المواعدة الوفيَّة، بينما رأت فيه وفي صحبه السِّهامَ النافذة إلى قلب الجهاد، والطُّعمَ المناسبَ للمجاهدين.

فمن يثبت إن لم يثبِّته الله؟ إذا كان الله ﷻ يقول في مقابل مكر المشركين آنذاك لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤]. هذا، ونفس رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم نافرة منهم، فكيف بالنفوس المائلة إليهم، المميلة لنفوس إخوانها، الذين أصبحوا اليوم مخذِّلين بلباس مجاهدين؟

فالله سبحانه رغم كلِّ ما يبذلونه لم ينسب لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم الركون الكبير، إنما قال: (شيئًا قليلاً)، ومع هذا قال له جزاءَ هذا الشيء القليل ـ وحاشاه صلى الله عليه وآله وسلم أن يفعل بأبي هو وأمي ـ ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الإسراء: ٧٥]، يقول صاحب الظلال: هذه المحاولات التي عصم الله منها رسوله صلى الله عليه وآله وسلم هي محاولات أصحاب السلطان مع أصحاب الدعوات دائما، محاولة إغرائهم لينحرفوا ولو قليلاً عن استقامة الدعوة وصلابتها، ويرضوا بالحلول الوسط التي يغرونهم بها في مقابل مغانمَ كثيرة. ومن حملة الدعوات من يُفتن بهذا عن دعوته لأنه يرى الأمر هيِّناً، فأصحاب السلطان لا يطلبون إليه أن يترك دعوته كليًّا، إنَّما يطلبون تعديلاتٍ طفيفةً ليلتقي الطرفان في منتصف الطريق، وقد يدخل الشيطان على حامل الدعوة من هذه الثغرة، فيتصوَّر أنَّ خير الدعوة في كسب أصحاب السلطان إليها، ولو بالتنازل عن جانب منها! ولكنَّ الانحراف الطفيف في أوَّل الطريق

ينتهي إلى الانحراف الكامل في نهاية الطريق، وصاحب الدعوة الذي يقبل التسليم في جزءٍ منها ولو يسيراً، وفي إغفال طرف منها ولو ضئيلاً، لا يملك أن يقف عندما سلَّم به أول مرَّة؛ لأنَّ استعداده للتسليم يتزايد كلَّما رجع خطوة إلى الوراء!. . . وأصحاب السلطان يستدرجون أصحاب الدعوة، فإذا سلَّموا في الجزء فقدوا هيبتهم وحصانتهم، وعرف المتسلطون أنَّ استمرارَ المساومة، وارتفاعَ السعر، ينتهيان إلى تسليم الصفقة كلِّها. والتسليم في جانب، ولو ضئيلاً، من جوانب الدعوة لكسب أصحاب السلطان إلى صفِّها، هو هزيمةٌ روحيةٌ بالاعتماد على أصحاب السلطان في نصرة الدعوة، والله وحده هو الذي يعتمد عليه المؤمنون بدعوتهم، ومتى دبَّت الهزيمة في أعماق السريرة، فلن تنقلب الهزيمة نصراً! لذلك امتنَّ الله ﷻ على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن ثبَّته على ما أوحى الله، وعصمه من فتنة المشركين له، ووقاه الركونَ إليهم ولو قليلاً، ورحمه من عاقبة هذا الركون، وهي عذابُ الدنيا والآخرة مضاعفاً، وفقدانُ المعين والنصير[1]. اهـ.

---

(١) في ظلال القرآن

فمن يُثبِّت هؤلاء أمام مكر أمريكا الذي قطرة منه تغطي قريشاً والجزيرة العربية؟

من يَثبُتُ أمام وارثة مكر الأمم جميعاً؟

من يَثبُتُ وقد أصبح الجهاد في العراق يمثل لها نهايتها المرعبة، إن لم تنتصر على هؤلاء القلة القليلة الثابتة؟

ولذلك كان أعظم الخطر على كلِّ مجاهدٍ ـ فضلاً عن القادة ـ الإصغاء لهؤلاء الذين ما زالوا يَعُدُّونهم إخوة، وهم والله ليسوا بإخوة، فمجرَّد الإصغاء لهم مجازفةٌ بالجهاد كلِّه، ومن نظر لنبت الجهاد وجد أنَّ هذه السوسة قد نخرت بنيانه في الجماعات التي رضيت بالإصغاء لهؤلاء، ومشت فيه خطوات، وإن استمرَّ بهم الحال فسوف تهوي سقُفُه كلُّها، وسوف يجاهر أصحابه بعداء الجهاد علانيةً بعد أن كانوا يقولون: لا تعارُضَ بين الاثنين؟

فكيف بتقريبهم أو اتخاذهم بطانةً؟ إنَّه خطر على كلِّ القادة، فضلاً عن العامة.

ونصيحتي لجميع الفصائل أن لا تتركوا قادة الجهاد وحدهم مع المنافقين، فإنَّ الخطر أنَّ هؤلاء المنافقين ربَّما تمكنوا من قلوبهم، ودخلوا باب القبول عندهم، وربَّما

أقنعوهم بعد محاولاتٍ بالأمر الذي يريدون، فيصبح هذا القائد أعظم مدافع عنهم. وهذه عقَبةٌ كأداءُ تصل إلى درجة الإحراج والمفاصلة بين الفصائل الجهادية، ولا يستبعدنَّ قائدٌ جهاديٌّ على نفسه ذلك الخطر بعد قول الله جلَّ وعلا: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النِّسَاء: ١٠٥].

ولذا فإنَّنا نرى هنا أنَّه لا علاج بعد كلِّ هذا الوقت والجهد، وبعد كلِّ هذا الانحدار، وهذه الخسائر والتبعات... إلا بالمفارقة.

ويجب على كلِّ مجاهدٍ يريد تطبيق الكتاب والسنة وأحكام الجهاد على واقع جهاده أن يفارق المصرِّين على الهدنة مع عبَّاد الصليب والمصرِّين على الصحوات، ومعاذ الله أن نريد بذلك استكثاراً لأنفسنا، إنما نريد الاستكثار لهذا الدين وإضعافاً للمصرِّين، فلعلَّهم حين يرون ضعف نصرائهم وقلَّتهم يعودون إلى الحقِّ، فإنَّ مما يغري صاحب الغواية أن يجدَ له على الغواية أعواناً، وكما تكون الإعانة بالكلمة فإنَّها تكون بالبقاء في نفس الصف، والتزام نفس المنهج، والإصرار على الباطل.

الداعي الخامس: إنقاذ إخوة من الهلاك

ما من شكٍّ أنَّ النفاق مرضٌ معدٍ، وأنَّ المؤمن يخافه على نفسه، ويخافه على إخوانه كما خافه النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أمته، فعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنَّ أخوفَ ما أخافُ على أمَّتي كل منافقٍ عليمِ اللسانِ)[1].

وكونُه عليمَ اللسان يعني أنَّه يعرف كيف يَدخلُ إلى القلوب بنفاقه، ويغرِّرُ الجاهلين بحاله وأقواله وأفعاله ومواقفه، فتصغي له الآذان، وتعجب به النفوس، ويمشي وراءه الأتباع، كما قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٤﴾ [المنافقون: ١-٤].

---

(١) أخرجه أحمد (١٤٣)، وعبد بن حميد (١١)، والبزَّار (٣٠٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٧٧٧). قال الهيثمي: رجاله موثقون. وصححه أحمد شاكر والألباني، وقال شعيب: إسناده قوي.

وإنَّ أقلَّ ما يمكن أن يقع في نفس كلِّ تابعٍ للجماعات المشاركة في الهدنة والصحوات هو التوقُّف لحظةً للإجابة على أسئلة مهمَّة محدَّدة: هل في جماعتي من يهادن العدوَّ المغتصب، ولو في بعض المناطق، أم ليس فيها؟ وهل في جماعتي من دخل صحوات النفاق؟ وهل في جماعتي مَن يبرِّر بعض أنواع الصحوات؟ وأخطر هذه الأسئلة: هل في جماعتي من قاتل أهل الغلوِّ من المجاهدين مستعيناً بالصليبيين؟

فهل يجوز لي، والحال هذه، البقاءُ في هذه الجماعات مادامت مصرَّةً على ذلك بعد استفراغ الوسع في النصح والتبليغ؟

أليس في بقائي تكثيراً لسوادهم، وتقوية لبنيان عملهم هذا؟ وهل إذا أنكرت أنا وغيري فأصرُّوا، فانسحبت أنا وكلُّ المجاهدين من هذا الصفِّ، ألا يهُدُّ ذلك بنيانَ عملهم هذا؟

إنَّهم لو وجدوا الإنكار بالعمل، أو وجدوا من المنكرين عليهم أعداداً مثلَ الدَّاعين لهذه المنكرات فقد يتوقَّفون، وإن لم يتوقَّفوا بعد كلِّ هذا فذلك لاستغناء الله تعالى عنهم، وسقوطهم في الفتنة، هداهم الله.

أما نحن فإنَّ عزيمتنا في أمر «المفارقة» هذا أمرٌ قد تَمَّتْ مع الله بيعته، لقد عقدناها بيعةً ابتغاء لقاء الله تعالى، وقلبُ أحدنا يطير إليه سبحانه اشتياقاً، ولسانه يفصح إفصاحاً: (واهاً لريح الجنة، إنِّي لأجدُ ريحها دون ربوع العراق)، وأعضاؤه تطير في ساح السباق ركضاً، ولسان حاله يقول:

ركضاً إلى الله بغير زاد
إلا التُّقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد
وكلُّ زاد عرضة النفاد
غير التُّقى والبرِّ والرشاد

فعزيمتنا عزيمة المبايعِ الذي يرى أنَّ مصلحته في إتمام البيعة، المبايعِ الذي ختم على بيعته: «لا نقيل ولا نستقيل»، المبايعِ الذي شرع في التنفيذ، وهو مستبشر ببيعته بأمرٍ فوق ما يتصوَّره المخذِّلون، ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟

﴿بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١﴾ [التوبة: ١١١].

إنَّ من هدي السلف الصالح أن يجدِّدوا البيعة بعد البيعة الأولى، وأن يبايعوا إذا احتدم الموقف، ويوثِّقوا البيعة إذا اقتضى الأمر، حتى لو كانت البيعة على الموت! نعم على الموت! وهل معنى الموت الحقيقي هنا إلا الحياة؟ وإلا فعن أيِّ الظنون نهى الله سبحانه بقوله: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠ ۞يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؟ [آل عمران: ١٦٩-١٧١].

ولذلك فكلٌّ من يريد عودتنا، أو يقفُ في طريقنا يبتغي إعاقتنا عن المضيِّ في طريق الجهاد والاستشهاد فعليه أن يتقيَ الله عزَّ وجل، وأن يتصوَّر: ماذا لو أنَّه أفسد على تاجرٍ بيعته، أو أفسد الآخر عليه بيع بضاعته دون حقٍّ؟ كيف والبيعة هنا بيعةٌ مع الله، وثمنها الروح، وعوضها جنَّةٌ عرضها السماوات والأرض، ووقت التقابض هو لحظة قبض الروح، أليس الله ﷻ أحقَّ من وُفِّيَ له؟

أيُّها المحبون المشفقون الداعون لنا بالتريُّث: إنَّ الموقف الحقَّ هو أن نتنادى من كلِّ حدَبٍ وصوبٍ، أفراداً وجماعاتٍ، غَيْرةً لله سبحانه وتعالى، ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وللجهاد الذي ينبغي أن يتَّقدَ فينيرَ سماءنا، ولا يتوقفَ حتى يُحكم بشريعة الله عز وجل.

إنَّ الموقف الحقَّ هو أن يُنْكَر على من منح المعتدين روحاً جديدةً يعيشون فيها بهذه التفاوضات والصحوات والتفاهات... لا أن يُنكَرَ علينا.

الموقف هو أن نتنادى أجمعين لنصطفَّ في ركن المبايعين، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾ [الصَّف: ٤].

نحن ما طلبنا بمفارقتنا هذه دنيا نصيبها، أو سلطةً في برلمانٍ نترشح لها، أو وزارةً نريدها، أو سلامةً عاجلةً نرجوها!

عليهم أن يتحقَّقوا إن كنَّا أنكرنا على إخواننا عملَهم ومنهجَهم التفاوضيَّ أم لم ننكر؟ هل أعذرنا أم لم نعذر؟ هل أصَّلنا هذه المسائل في بحوثٍ علميةٍ شرعيةٍ أم لم نؤصِّل؟ ولقد جاء هذا في كتاب «الجواب الكافي لمن نوى الهدنة مع العدوِّ ظاهراً أو خافي»، هل منحنا الوقت الكافي، وزائداً عليه أضعافاً مضاعفةً، أم لم نمنح؟

فإذا كان الأمر كذلك، أفلا يجب شرعاً على كلِّ جماعةٍ وكلِّ فردٍ أن يلتزم هذا الموقف الذي ذكرناه؟

إنَّ من تمام الإخلاص والتجرُّد أن ينزعَ كلُّ فردٍ من قلبه كلَّ تعصُّبٍ وانتماءٍ إلى غير الله ﷻ، وأن يستعجلَ في اتخاذ موقفه بالحسنى، ودون ردَّة فعلٍ قاسيةٍ غير شرعيةٍ على إخوانه.

أيُّها الأحبة من المسؤولين في الجماعات الجهادية: واجبٌ على كلِّ مسؤولٍ أن يتجرَّد لله سبحانه، ويُبلِّغ أفراد جماعته بصدق بحقيقة ما هم عليه، فإنَّ الرائد لا يكذب أهله، غيرَ معوِّقٍ ولا مخذِّلٍ، صائحًا بهم: من شاء أن يتَّبعني على الحقِّ فليتَّبعني، وإلا فإنِّي لا أكلَّفُ إلا نفسي. مسابقاً إيَّاهم إلى هذا المنهج، متَّخذاً هذا الموقفَ بغضِّ النظر عن جماعةٍ أو حزبٍ، فذلك خيرٌ له من أن يُحشرَ، فيجدَ القرآن قد صفَّه في صفوف من ذُكروا في سورة التوبة، وسورة محمد، وسورة الفتح.

فكلُّ غبش يصيب العين يزول إذا استحضر المرء سؤال الله تعالى له استحضارَ عينِ اليقين، استحضارَ حاجتِه إلى جوابٍ هناك فلا جواب، فيلجأ للحلف علَّ فيه الإنقاذ، ولا

إنـقـاذ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾ [المجادلة: ١٨].

أيُّها الإخوة المجاهدون: إنَّ من بيعتنا الإنصاف مع إخواننا جميعاً من جميع الفصائل الجهادية بلا استثناء، حتى من خالفنا منهم، واختار عدم اللحاق بنا، قائداً كان أو جنديًّا. فإنَّا نشهد بأنَّ في هؤلاء الإخوة من هو أهلٌ لكلِّ خيرٍ، وله سبقٌ في كل سباقٍ، ولذا فلن تختلط الأوراق علينا، ولن نجازف بالذمِّ فضلاً عن أن نجازف في أعراض إخواننا، فحريٌّ بنا وقد التزمنا حكم الله تعالى فيما نعتقد، مفارقين إخواننا، مبايعين على أرواحنا، أن نكون بإذن الله أشدَّ التزاماً على ما هو دون ذلك من تكليف، كإمساك اللسان عن أعراض إخواننا ونحو ذلك. أما تحذير الناس من المنافقين الذين تخلَّلوا صفوفهم فهو واجبٌ شرعيٌّ، لا يسعنا السكوت عنه، ولكن يبقى الأمل بالله وحده أن يجمعنا جميعاً مرَّةً أخرى على هذا المنهج الصافي بالرجال الخُلَّص الذين هم من طراز زمن قال الله تعالى فيهم: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣]، فبالله عليكم يا إخواننا عودوا، فبالله عليكم يا إخواننا عودوا.

طليعة النصر

يا إخواننا، سُنَّةٌ جهاديةٌ مضت على كلِّ جحافل الجهاد طوال التاريخ كلِّه، تلك هي سُنَّة التمحيص بعد التمحيص، والتمايز بعد التمايز، وتنوُّع التمحيص واختلاف صوره، حتى لكأنَّ تنُّور الاختبار لا يترك أحداً إلا ويدخله في أتونه، ولا يترك نفساً إلَّا ويمحِّصها من جميع جوانبها، وبعد هذه السُّنَّة تأتي سُنَّةُ النصر المحقَّقةُ التي أخذت أعلى صور التأكيد، إذ هي وعد الله سبحانه وتعالى، ومن أوفى بعهده من الله؟

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾ [البقرة: ٢٥٠]. وقال جلَّ شأنه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا

وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْآخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [آل عمران: ١٤٦-١٤٨].

يا إخواننا، أليس لنا في بني إسرائيل عبرة، وقد كان لأصحاب بدر فيهم عبرة؟

ألم يخبرنا الله سبحانه وتعالى عن قوم موسى عليه السلام الذين لم يبق منهم من يتَّصف بالخوف من الله، وعدم الخوف من الجبابرة إلا رجلان، فكان مصير الجموع الجبانة التيهَ والمهانة، كما قال تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [المائدة: ٢١-٢٦].

ألم يخبرنا الله سبحانه وتعالى كيف سبق النصرَ التصفيةُ بعد التصفية، فكان رفع كلمته على يد القِلَّة الخالصة؟: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾ [البقرة: ٢٤٦].

أترونا معاشر المجاهدين، لم نمرَّ بأنهار من الاختبارات تلو الأنهار، أم أنَّكم ترون المثل مضروباً للمثل؟

أليست هذه العروض المزدانة بالعهود الصليبية المغرية، أن اغمدوا سيوفكم الحديدية، وخذوا سيوفاً من ذهب، اتركوا الميدان واسكنوا بيوتاً سقُفُها من ذهب ومعارجها من ذهب وفضة، أوقفوا معارضتكم بالطرق الجهادية، واتَّبعوا المعارضة بالطرق الديمقراطية والبرلمانية، وإن شئتم الوزارية، ومعها السلامة والذهب.

كيف نُنكر التصفيةَ، والتصفيةُ قد حصلت في صفوفٍ

قادها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التوبة: ١٦]. وقال سبحانه: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [آل عمران: ١٦٥]، وقال سبحانه: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ [آل عمران: ١٧٩].

ليس بعزيزٍ علينا تخلُّف من تخلَّف مهما كان قدرُه، وأيًّا كان عذرُه، فذلك شيء وتحقُّق النصر على يد الخلَّص شيء، جعلنا الله تعالى وإياكم منهم.

ليس لنا إلا أن نهتف في قومنا بهتاف ذلك النبيِّ القائد المنتصر... ذاك الذي لما لحِق به الخُلَّص أوقف الله لأجلهم الشمس، كما في الحديث الصحيح، فكان النصر المبين مع خُلاصة المبايعين، يقول صلى الله عليه وآله وسلم: (غزا نبيٌّ من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني منكم رجلٌ مَلك بضع

امرأةٍ، وهو يريد أن يبني بها ولَمَّا يبنِ بها، ولا أحدٌ بنى بيوتاً ولم يرفع سقوفها، ولا أحدٌ اشترى غنماً أو خَلِفاتٍ وهو ينظر وِلادها. فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريباً من ذلك، فقال للشمس: إنِّك مأمورةٌ، وأنا مأمور، اللهمَّ احبسها علينا. فحُبست، حتى فتح الله عليه، فجمع الغنائم، فجاءت النار لتأكلها، فلم تَطعَمها، فقال: إنَّ فيكم غلولاً فليبايعني من كلِّ قبيلةٍ رجلٌ. فلزقت يدُ رجلٍ بيده، فقال: فيكم الغلول، فلتبايعني قبيلتك. فلزقت يد رجلين أو ثلاثةٍ بيده، فقال: فيكم الغلول. فجاءوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب فوضعوها، فجاءت النار فأكلتها، ثم أحلَّ الله لنا الغنائم رأى ضعفنا وعجزنا فأحلَّها لنا)[1].

مناجاة مجاهد

ـ إذا ركن النَّاس إلى ركن الذين ظلموا، وغرَّهم تقلُّبهم في البلاد، وظنُّوا أن لن يخرجوا، وأنَّ حصونَهم مانعتُهم من الله، أشفقتُ على نفسي بهذا الظنِّ أن تطويني سُنَّةُ الاستبدال، وهرعتُ إلى جناب العزِّ الذي أمر الله تعالى

(١) أخرجه البخاري (٣١٢٤)، ومسلم (١٧٤٧)، وأحمد (٨٢٣٨)، والنسائي في الكبرى (٨٨٧٨).

به الأولين، فلم يزالوا خائفين على أنفسهم من ذلك إلى أن لاقَوا الله تعالى، وهو عنهم راضٍ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة: ٥٤].

ـ إذا طلعت للصحب مطامع السلامة، وتقرَّبت لهم الدنيا، وأغرتهم أكوام القمامة، وصدَّقوا كذب المحتلِّين بأنَّهم مسالمون، وأنهم من العراق خارجون بشرط أن يجالسوهم ويفاوضوهم، وعلى قليل من الطلبات يوافقون، وللنَّزر اليسير من الأوامر ينفذون، ولهم في مقابل ذلك ما يشاؤون، بينما الأمريكان بمخالب النسر في العظم والعصب فينا غارسون، عندها تجلَّت أمام عينيَّ كلماتُ ربي فأطارت الغرور، وكشفت ما أخفَوا عن المؤمنين في الصدور، فعجبت كيف نظر المهادنون إلى أقوال من كذَّبهم الله فصدَّقوها؟ وسُلِبَتْ قلوبهم بتكشير أنياب عبَّاد الصلبان، وظنُّوها علامةَ صدقٍ ومودة، ونسوا ما قال الله ﷻ لخير الرجال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾

﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٨-١٢٠].

ـ إذا تعثَّرت الأقدامُ بأحجار الذهب والفضَّة، وتطلَّعت العيونُ الطامعةُ، لكرائم الأحجار اللامعة، فقالت: نؤجِّل حكمَ الله في هذه المرحلةِ حتى نلتقط الحجر الكريم المتناثر، ولا نستعجل تطبيق النصوص، وعلينا ببُعد النظر. فكان بعدُ النظر عندهم أن ننظر لما تعثَّرت به الرِجْل من الحجر!

بُعدُ النظر عندهم أن لا ننظر للأفق الشرعيِّ البعيد ملتزمين بالنَّصِّ، ولكن ننظر للساحل القريب حيث الأسماكُ عند الساحل شُرَّعاً، وبنو إسرائيل قد نصبوا الشباك قبل السبت، ثم بعد الصيد نعود للتوبة، كما نصب أصحابنا شباك المفاوضات ليصطادوا يعاسيب الذهب الأمريكي، وقالوا: وبعدها نعود للصولة والجولة، نعود للجهاد. كيف تعودون وصيدُكم الذي خرجتم لأجله في ازدياد وتكاثر؟

كيف تعودون وقد أصبحتم أنتم الصيد لا الأسماك، وهممكم قد سقطت في تلك الشباك؟

هنا ناداهم منادٍ: تريدون أن تجمعوا بين حماية ظهور المسلمين من على جبل الرماة وبين الهويِّ في الوادي لجمع الغنائم؟

تريدون الجمع بين أهوائكم وأحكام ربِّكم؟

تريدون الجمع بين مرضاة أولياء الشيطان وأولياء الرحمن؟

تريدون الجمع بين العَرض القريب وبعد الشُّقَّة؟

تريدون الجمع بين عَرض الحياة الدنيا وبين الآخرة؟

نعم، يمكن أن تجمعوا بأهوائكم فتقطفوا ثمارها خِزْيَيْنِ محقَّقين: ذهابَ النصر ودخولَ النار، أما سمعتم قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾؟ [هود: ١١٣]. أعاذنا الله وإياكم من ذلك.

أيتها الأسود: متى طاب للأسود طعامُ الجِيَف؟

يا جند الله في أرضه: أيضع جند الله أسلحتهم، وملائكة الله لم تضع أسلحتها بعد؟

يا طلاب اللقاء القريب: أتحوم الشهادة بين البيوتات ويفرُّ منها المجاهدون إلى المفاوضات والصحوات؟

ـ إذا كثرت العوائق أمام خروج المجاهدين في الشوارع والأزقة، وكثرت العيون الراصدة والمُحْدِقَة، وكثر الداعون إلى السلامة القائلين: اقعدوا، تريَّثوا، ما ستكسبونه بالجهاد من ذهاب الأرواح، سوف تكسبون أضعافه مع السلامة وضمان الأرباح... اقعدوا، فقد جاءتكم الغنائم فَيئاً، وتراءت لكم الحيتان شُرَّعاً، وابتعد الخطر عنكم فراسخَ سفر، وذهب الموت عنكم بعدما طاف على النفوس، وكاد يطيح بالرؤوس!

اقعدوا، واستمسكوا بالمقاعد قبل أن يطير بها كلها العلمانيون والفرس الروافض.

هكذا تكثَّفت أبخرة القاعدين حتى تحوَّلت إلى غمام، يقول المتطلِّع إليه المغترُّ به، كما قال أولئك المغترِّون الذين أخبرنا الله تعالى عنهم، إذ قال: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾ [الأحقاف: ٢٤]. وكأنَّ هذا المغترَّ أصبح يعتقد أنَّ الصليبيين هم المعطي المانعُ، أو الخافضُ الرافعُ، أو كأنَّ هذا الباب الذي فُتح لهؤلاء المفاوضين بابٌ جديدٌ ما

فُتح في التاريخ قبل اليوم، وما علموا أنه بسببه نزلت بعضُ أحكام النفاق، أعاذنا الله وإياكم منه.

أيةُ قيمة لهذه الأوهام؟

وأيُّ ثقل في ميزان الإيمان، إذا وُضعت هذه الأوهام في كفَّةٍ، ووضع قول الله ﷻ في نفس الموضوع في الكفَّة الأخرى؟

فليتأمَّلها كلُّ مؤمن، فوالله لكأنَّها نازلةٌ في زماننا ولزماننا هذا: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٦٨].

ـ إذا أجلب العدوُّ بخيله ورَجِله، وصاح فيهم قائدهم: لا غالب لكم اليوم من النَّاس وإنِّي جارٌ لكم. وملؤوا الشارع والزقاق، ونزلوا الساحة، وأظلم بهم جوُّ السماء، أقبل بائعو أرواحهم ليُشهدوا ملائكة الميدان زفاف أرواحهم إلى السماء، إلى سابع سماء، إلى ربِّهم سبحانه وتعالى شهداء.

فلسان كلِّ محبٍّ مشتاقٍ إلى الله: افتحوا الطريق، ودعونا نشهد الزفاف ونلقى الله.

ـ ألا صوتٌ يسري بليل، أو يعلو بنهار، يوقظ جيشاً

بأكمله، ويعيد الجموع المفاوضة إلى جهادها؟ فما أغلى الصوت الذي يعلو للإيقاظ عند شدَّة الفتنة، واحتدام الخطر؟ ألم يوقظ صوت أنس البائع روحَه (واهاً لريح الجنَّة، إني لأجدُه دون أحد)[(١)]؟ ألم يوقظ ذلك الصوت من ألقى السلاح وجلس على سفح أحد؟ ألم تبقَ هذه الكلمات نافذةً إلى الأرواح، وكأنَّها حيَّة تحمل روحها في أحرفها، وتحرك الأمة من أقطارها؟

وهكذا بقيت كلماتٌ حيَّةً هنا، وكلماتٌ محييةً هناك.

واهاً لهذا الصوت الساري أن هُبُّوا عن بكرة أبيكم لله.

أن هَبُوا أرواحكم اليوم لله.

صوتٌ يتقدَّم الألوف إلى الحتوف، وهي وراءه تجري لا تلوي على شيءٍ إلا على موعود الله تعالى، إمَّا النصرُ وإمَّا لقاءٌ عاجل بالله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين، فإذا بالله ﷻ قد أكرم هؤلاء المبايعين الصادقين بعزِّ الدِّين، وتمكين الإسلام، ورفع ساريته في الرافدين... واصطفى آخرين للقائه.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٠٥)، ومسلم (١٩٠٣) (١٤٨)، وأحمد (١٣٠١٥)، والترمذي (٣٢٠٠)، والنسائي في الكبرى (٨٢٩١).

ـ إذا ميَّع البعض مفهوم الجهاد، وحجَّموه شيئاً فشيئاً، أو غالى فيه آخرون، حتى استباحوا الدم الحرام، وشوَّهوا صورة الجهاد والإسلام، وفعلوا ما فعلوا، فإننا اخترنا طريق الأمة الوسط، وعلى وسط الوسط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن حوله أمته، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البَقَرَة: ١٤٣].

وعلامة اختيارنا طريق الوسط، طريق رسولك صلى الله عليه وآله وسلم، هو أننا جعلنا أئمتنا وقادتنا أهلَ العلم الذين هم ورثةُ رسولك صلى الله عليه وآله وسلم، من الذين لا ينظرون مع مرضاتك إلى مرضاة أحدٍ، ولا يخافون فيك لومة أحد، ولا يتجاوزون حكمك إلى حكم أحد.

يا إخواننا: من لحق بنا وبورثة الأنبياء فحيَّ هلا، وإلا فلا يقعدنَّ به الظنُّ أنَّ في الأمر سعة، وفي المفاوضات والهدنة والصحوات خيراً يُنتظَر، وليُعلم أنَّ درب الجهاد واسع، وأبوابَ حصون العدوِّ كثيرة، فاعبروا لهم النهر، ولا تمكثوا فيه لحظةً فيغريَكم ماؤُه العذب البارد الذي جاءكم بعد طريقٍ طويلٍ وعطشٍ شديد... اخرجوا من

النهر، وادخلوا عليهم الباب، فإذا دخلتموه فإنَّكم غالبون، وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين، وابرزوا لهم في الساحة متجرِّدين لله هاتفين به: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

ألا هل بلَّغت، اللَّهمَّ فاشهد...

ألا هل بلَّغت، اللَّهمَّ فاشهد...

ألا هل بلَّغت، اللَّهمَّ فاشهد...

و الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على نبيه محمدٍ الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهرس